MEDECINS SANS FRONTIERES
أطبّاء بلا حدود

رساله مفتوحه إلى جميع الدول والمنظمات والاطراف المعنيه بالنزاع السوري

في اعقاب الاتفاق الذي توصلت اليه روسيا والولايات المتحدة الامريكية، تدعو المنظمة الطبية الإنسانية الدولية اطباء بلا حدود هاتين الدولتين إلى وضع مسألة توسيع نطاق حملات الإغاثة الإنسانية لتشمل ملايين السوريين المتأثرين بالحرب على راس برنامجهما الدبلوماسي.

وبالنظر إلى تعدد الدول والاطراف المشاركة في النزاع السوري، صار من اللازم على الحكومتين الروسية والامريكية العمل مع حلفائهما السياسيين من اجل تطوير إستراتيجية قادرة على تسهيل توزيع المساعدات الإنسانية بكميات كبيرة على كل من يحتاجها في البلاد.

وحتى نكون واضحين، فإن المطالبة بكسر الحصار المفروض على توزيع المساعدات الإنسانية لا يجب ان يتم تفسيره كدعوة إلى عسكرة المساعدات الانسانية. كما هو متعارف عليه في القانون الدولي الإنساني ، يجب على جميع الاطراف السماح بدخول المساعدات وعمال الإغاثة والوصل إلى السكان المحتاجين.

فلا بد إذن ان تسخر الولايات المتحدة وروسيا نفس الجهود الدبلوماسية الحثيثة التي خصصتها لمراقبة الاسلحة الكيميائية من اجل رفع مستوى المساعدات الإنسانية التي يتوق إليها الملايين من ضحايا العنف في سوريا.

وبعد مرور السنتين ونصف تقريبا على بدء النزاع في سوريا، تسببت الحرب في قتل اكثر من 100.000 شخص وإجبار حوالي ربع سكان البلاد إلى مغادرة بيوتهم، إضافة إلى نزوح حوالي 2,1 مليون شخص خارج بلادهم.

وكما هو الحال بالنسبة لباقي الخدمات الاجتماعية في سوريا، اصبح النظام الصحي محاصرا بسبب النزاع ولم يعد قادرا على الاستجابة للاحتياجات الطبية الحادة والمزمنة للشعب السوري. فقد اصبحت المستشفيات مستهدفةً في هذه الحرب، ومن بين 91 مستشفى عمومي في البلاد، تضرر 55 منها (اي 60 بالمائة) او دمّر بالكامل.

وفي العديد من المناطق، اصبح السكان يخشون على حياتهم ويفضلون عدم عبور الجبهات للوصول إلى مرافق الرعاية الصحية، كما يتعرض موظفو الصحة للقتل او الاعتقال او التعذيب او التهديد. وقد قتل 22 متطوعا من الهلال الاحمر العربي السوري منذ بدء الحرب. ان الظروف العمل قد اصبحت اكثر عدائية بالنسبة لمشاريع المساعدة الطبية المستقلة. واحد من الامثلة التي حصلت مؤخرا في مستهل شهر سبتمبر ايلول الجاري كان قصف قوات الطيران السوري مستشفى ميداني في الباب، شمال سوريا كما يتعرض عمال الإغاثة لإطلاق النار على يد بعض الجماعات المسلحة المعارضة.

وقبل اندلاع النزاع المسلح، كانت سوريا تحظى بنظام صحي يعمل بصورة جيدة ويتمتع خبرة طبية متطورة إلى جانب صناعة صيدلانية قائمة بذاتها. ولكن اليوم، اصبحت هذه الموارد شبه منعدمة على كلا الجانبين من الجبهة. وهناك نقص في الادوية الاساسية نتيجة لانهيار الصناعة الصيدلانية او بسبب ، بطريقة غير مباشرة، العقوبات الدولية المفروضة على سوريا.

ان الحصار المتمثل بمنع عبور الإمدادات الطبية خطوط جبهة القتال الى المناطق التي تسيطر عليها المعارضة، ادى الى فرض عقوبات على اجزاء من البلد. و هاجر عدد كبير من الاطباء سوريا. اما من تبقى، فنجد منهم اعدادا قليلة من الاخصائيين والاطباء المتدربين والجراحين الذين ليست لديهم خبرة في الجراحات المرتبطة بالحرب او خبرتهم محدودة في هذا الميدان. وهكذا، نجد اطباء الاسنان يجرون عمليات جراحية بسيطة، بينما اصبح الصيدلانيون يعالجون المرضى، والشباب يتطوع للعمل كممرضين.

اليوم، اصبح السوريون يموتون ليس فقط بسبب الرصاص والقنابل والصواريخ، بل ايضا بسبب امراض مزمنة يسهل معالجتها والوقاية منها، مثل السكري وارتفاع ضغط الدم. اما الامراض المعدية التي كانت في السابق تحت السيطرة في سوريا، مثل الحصبة وداء الليشمانيات الجلدي، فقد بدات تنتشر في بعض اجزاء البلاد. والنساء الحوامل اللواتي تواجهن مضاعفات اثناء الحمل ، اصبح من شبه المستحيل عليها الحصول على الرعاية التوليدية الطارئة. لقد انهار النظام الصحي لدرجة كبيرة في المناطق التي تسيطر عليها المعارضة، بينما تبقى المساعدات الإنسانية غير كافية لسد الفجوة.

ومنذ بداية النزاع، رفضت السلطات السورية السماح لمنظمة اطباء بلا حدود بالعمل داخل البلاد، بالرغم من الاحتياجات الإنسانية الهائلة، وهو ما اضطر منظمة اطباء بلا حدود إلى الانخراط في عمليات الإغاثة العابرة للحدود انطلاقا من البلدان المجاورة بهدف تلبية الاحتياجات في المناطق الخاضعة لنفوذ المعارضة.

وتدير منظمة اطباء بلا حدود حاليا 6 مستشفيات وعيادتين اثنتين في سوريا، تقدم في مجموعها حوالي 10.000 استشارة طبية و430 عملية جراحية كل شهر، وهو ما يثبت الاحتياجات الكبيرة في المناطق المحدودة التي تستطيع منظمة اطباء بلا حدود التدخل فيها. وفي المناطق التي لا تستطيع المنظمة العمل فيها مباشرة، تبادر إلى تقديم الدعم إلى 28 مستشفى و56 عيادة صحية، والتي تؤكد كلها وجود نقص شديد في الإمدادات الطبية بسبب صعوبة تمرير المواد والمعدات الطبية من نقاط التفتيش وحواجز الطرق.

على الحكومتين الروسية والإيرانية، من خلال علاقاتهما المتينة مع السلطات السورية، حث هذه الاخيرة على السماح لوكالات الإغاثة بالعمل داخل المناطق الخاضعة لها او العبور إلى تلك التي تسيطر عليها المعارضة وبعبور جبهات القتال إلى المناطق التي تسيطر عليها المعارضة في البلاد. كما يجب على سلطات دمشق تخفيف الإجراءات الإدارية التي تعرقل توزيع المساعدات في البلاد، مثل إغلاق طرق الإمدادات وفرض قيود على حركة عمال الإغاثة الإنسانية وغيرها من العراقيل البيروقراطية. كما يجب على الحكومة السورية احترام نزاهة وحيادية المنشات الطبية والكف عن استهداف المرافق الصحية وافراد الطاقم العاملين فيها والمرضى بداخلها، إلى جانب تسهيل حركة الإمدادات الطبية والفرق الطبية عبر جبهات القتال والحدود.

من ناحية اخرى، على البلدان المعنية التي تدعم المعارضة، مثل الولايات المتحدة وتركيا والسعودية وقطر، ان تضمن ان هذه الجماعات سوف تسهل وتحترم انشطة تقديم المساعدات الإنسانية عبر خطوط الجبهة. كما يجب على هذه البلدان ان تضمن ان هذه الجماعات المعارضة التي تدعمها، سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة، سوف تلتزم كذلك بالتوقف عن إنشاء قواعد عسكرية بالقرب من المرافق الطبية او مضايقة الفرق الطبية والمرضى او تهديدهم او استهدافهم.

كما تقع مسؤولية تسهيل واحترام تقديم المساعدات الإنسانية في سوريا على عاتق جميع الجماعات المسلحة والميليشيات والدول التي لديها اي تاثير او مشاركة في النزاع الدائر بالبلاد. ويجب على البلدان المجاورة، من جهتها، الإبقاء على حدودها مفتوحة للسماح بتدفق المساعدات إلى سوريا وبنزوح اللاجئين السوريين الراغبين في مغادرة بلادهم.

باختصار، لا بد من بذل كل الجهود الدبلوماسية الممكنة من اجل ضمان قدرة الوكالات التابعة للامم المتحدة وباقي منظمات الإغاثة الإنسانية، على تقديم المساعدات العاجلة إلى الشعب السوري، سواء انطلاقا من دمشق ام من البلدان المجاورة.

إن الازمة غير المسبوقة التي تمر بها سوريا تتطلب جهودا دبلوماسية غير مسبوقة ومتضافرة من اجل تسهيل انشطة المساعدة الإنسانية. فهناك الاف السوريين الذين يتعرضون للقتل او الترحيل كل شهر. فلا بد إذن من الوصول إلى اتفاق يضمن حقهم في الوصول إلى المساعدات الإنسانية قبل اية محاولة ترمي إلى الرد على المذابح الماساوية التي تخلفها هذه الحرب. إننا نتحدث هنا عن إنقاذ حياة الملايين من السوريين.

مع فائق التقدير والاحترام،

د. يوني كاروناكارا، المدير الدولي، منظمة اطباء بلا حدود